(الشكر عبادة الأولين والآخرين) 1

الحمد لله رب العالمين يحب من عباده الشاكرين لآإله غيره...، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له جعل شكره دليلا على حسن عبادته فقال : (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أمره ربه بالشكر فقال له : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُد وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) .

اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول سبحانه :

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

عباد الله : إن الفرد منا لو أحسن إليه أحد فأخرجه من ضائقة مالية أو قضى له حاجة أو حتى عامله بلطف فإنه لا يعرف كيف يشكره ويرد جميله بل قد يقول له : إني عاجز عن الشكر وإن لك علي لفضلا هذا مع عبد من العباد وفي أمرقد لايتكرر.. فكيف يكون موقفنا مع الرب الكريم الوهاب الذي يقول : (وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً) ويقول : (وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) والسؤال : هل شكرالمؤمن ربه كما ينبغى أن يكون ؟ الجواب : لا... لماذا ؟ لأن الله هو الذى أخبر عن ذلك فى كتابه فقال : (وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلاً مَّا تَشْكُرُونَ) ويقول : (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الإِنسَانِ مِن طِينٍ...) ويقول : (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) وليس فقط الشكر من الإنسان قليل كما وصفه ربه ، بل هو ظلوم كفار كما فى سورة إبراهيم ، وظلوم جهول كما فى سورة الأحزاب خاصة أهل الزمان لماذا ؟ لكثرة ما فتح الله عليهم من نعم آثرهم بها على غيرهم من الأمم السابقة ، فلقد حدث تطور هائل فى الإنتاج الزراعى والحيوانى وفى المواصلات والاتصالات واللباس والزينة والسكن والأثاث والطب وفى كل مجال تقريبا الله وصف الإنسان فى كثير من الآيات بأن الشكر منه قليل ووصفه كذلك بالظلوم الكفار فى آية وبالظلوم الجهول فى آية أخرى ، والسؤال : لماذا كان الإنسان ظلوما كفارا وظلوما جهولا ؟ كان ظلوما كفارا لاعتقاده بأن الشكر باللسان ولايؤدى حق الله لمستحقيه ، ولاعتقاده بأن المال هو النعمة دون سواه مع أن هناك نعما كثيرة تقدَّمُ على المال كالدِّين والعافية والعلم...وكان ظلوما جهولا لاعتقاده بأن الشكر يكون على النعمة التى تصل إلى يده مع أن هناك نعما لم يجعلها الله فى يد أحد وإذا منعت عن الإنسان دقيقة واحدة لمات كالهواء...وإذا منع الغيث لماتت الكائنات ، فهناك نعم كثيرة خص الله بها الإنسان دون بقية خلقه...فخلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وسخر له الكون كله ، لقد جعل الله كل ما في هذا الكون مسخراً من أجلك أيُّها الإنسان قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنْ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِبِأَمْرِهِ وَسَخَّرَلَكُمْ الأَنهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمْ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...) نعم جميع مافى هذا الكون مسخر لك أيها الإنسان ، فهل قابلت هذه النعم بالشكر أم بالجحود ؟ فإذا تحدثنا عن آية واحدة وهي القمر هذه الآية الكونية التى محى الله ضوءها لنعلم عدد السنين والحساب كما قال تعالى : (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَتَيْنِ فَمَحَوْنَا آيَةَ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً...) فليس للقمر ضوء فى نفسه فهو من انعكاس الشمس عليه تماما كالضوء فى أعيننا ، وأيضا لوكان القمر فى مدارقريب من الأرض مما هوعليه الآن لارتفع الماء فى البحارحتى أغرق الأرض كلها!!! .

فماذا عن الشمس ؟ فهذه الشمس التى هي أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرَّة تدورحول نفسها مرة كل 11 ثانية وكان الناس يظنون قبل أنها ثابتة ، فهي تجرى حول نفسها وهي فى مكانها ، وللشمس حركتان : حركة حول نفسها وحركة مع المِجَرة قال تعالى : (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَلِكَ تَقْدِيرالْعَزِيزِ الْعَلِيمِ) **فلا حياة على الأرض بدون الشمس ، ولولا الشمس لأصبحت الأرض كوكباً متجمِّداً لاحياة فيه ، فالشمس تَهَبُ الأرض وما عليها الحرارة** فنحن نشعر بحر الشمس ونحن على الأرض وهي تبعد عنا أكثر من مائة وخمسين مليون كيلو متر يقطعها

الضوء في ثمان دقائق ، **وكذلك فالشمس تقتل البكتريا الضارَّة** لأن هذه البكتيريا لاتعيش إلا في الظلام...**والشمس تهب الأرض الضوء** والنبات لا ينبت إلا بالضوء ، فلولا ضوء الشمس ما أكلت شيئاً لأن النبات سيموت ، وإذا مات النبات مات الحيوان وتبعه الإنسان ، فقد جهلت البشرية سنين طويلة عن كيف تتكون الحبوب والثمار ؟ فأخذ العلماء يدرسون فى الثمار والحبوب لعلهم يصلون إلى السر الخفي ، فهداهم الله إلى ما يُعرف بالتمثيل الضوئى...حيث وجدوا أن الماء يُخرج النبات من بذوره ، ويتكون من النبات مصانع خضراء صغيرة هي التى تعطى النبات لونه الأخضر هذه المصانع الخضراء تتكون من النبات عند بدء نموه ، ومن هذه المصانع تخرج الحبوب والثمار ، ويقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ خمسة عشر قرنا من الزمان قال تعالى : (وَهُوَ الَّذِيَ أنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا...) كذلك وجد العلماء : أن مصدر الوقود فى الأرض كلها هذه النقطة الخضراء التى فى النبات ، فالنقط الخضراء تلك هي التى تمتص وقود الشمس وتخزنه فى أجزاء النبات ، فعند الاحتراق يخرج الوقود الكامن فى تلك الأجزاء ، كما اكتشف العلماء فى طبقات الأرض أن أصل البترول وجميع مشتقاته من نبات مطمور بالتراب والصخور ، أو من حيوانات تغذت على نباتات وأخذت من النبات الوقود ، بهذا نعرف أن جميع أنواع الوقود المستخدمة أصلها الشجر الأخضر ويُقرر القرآن الكريم هذه الحقيقة منذ خمسة عشرقرنا من الزمان قال تعالى : (الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ) ويقول من سورة الواقعة : (أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ * أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ) والشمس هي التى ترفع بخار الماء وهي التى تنزله حيث ترسل أشعتها على البحار فيتبخر الماء فيصعد بخار الماء إلى أعلى ، ومن المعلوم أنك إذا اقتربت من النار شعرت بحرارتها ، فهذه الكتلة الجبارة عكس الله القاعدة معها فكلما اقتربت منها شعرت بالبرودة لماذا ؟ حتى لايضيع البخارفى أعماق السماء لأن البخار كلما اقترب من حرارة خف ولكن كما جعل الله الشمس سبب ارتفاعه جعلها سبب نزوله كيف ذلك ؟ تأتى من الشمس برودة على بعد ثمانية أميال من سطح البحر فيسوق الله بذور اللقاح والأتربة وذرات الدخان فيتكثف عليها بخار الماء ثم يسوقه الله إلى الأرض الذى يريد قال تعالى : (أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلاَلِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ ...) فالرياح تسوق السحاب بأمر ملك السحاب كما قال صلى الله عليه وسلم لليهود عندما سألته عن الرعد ؟ فقال : (ملك من ملائكة الله موكل بالسحاب يسوق السحاب حيث أمره الله) قالوا : فما هذا الصوت الذي نسمع ؟ قال : (صوته) قالوا : صدقت حسنه الشيخ الألباني ، وفى نزول الماء سنن كثيرة منها : سنة رفعه ، وسنة طيرانه سحابا ، وسنة نزوله قطرات ، وسنة تخزينه فى صحن حجرى حتى لايضيع فى أعماق الأرض كما قال تعالى : (قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ) وفى الماء كذلك عكس الله قاعدته لصالح الكائنات ، فمن المعلوم أن السوائل وهي : الماء والزيت والعسل عند تسخينها يرتفع السائل الساخن إلى أعلى وعند تبريدها يبدأ الثلج من أسفل إلا الماء...ففى التسخين من أعلى ، وفى التبريد أيضا من أعلى لأنه إذا وافق السوائل عند التبريد لأصبح المحيط المتجمد الجنوبي والمحيط المتجمد الشمالي كتلة واحدة من الثلج ولماتت جميع الكائنات البحرية ، لكن شيئا من ذلك لم يحدث ، فالكائنات البحرية فى المحيطين حية ترزق تروح وتجئ لأن الثلج من أعلى فقط ، وهذه قدرة إلهية فى الماء حيث عكس القاعدة لصالح كل كائن حي ، هذه النعم التى سمعتموها تعد نقطة من محيط من نعم الله على الإنسان .

من هنا ندرك لماذا وصف الله الإنسان بالظلوم الكفار فى سورة إبراهيم ، وبالظلوم الجهول فى سورة الأحزاب ؟

ولما كان الشكر عبادة الأولين والآخرين وكان الأنبياء فى مقدمة الشاكرين فلقد أثنى الله عليهم فى كتابه الكريم وهذا موضوع اللقاء القادم إن شاء الله ، وعنه صلى الله عليه وسلم قال :

(كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

تابع (الشكر عبادة الأولين والآخرين) 2

الحمد لله رب العالمين يحب من عباده الشاكرين لآإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أخبر أن من يشكره فقد عبده ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال : (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أمره ربه بالشكر فقال له : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه...وبعد فيقول الله تعالى :

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

نعم معشر المسلمين : فالشكر خلق الأنبياء والمؤمنين لأن الإيمان يعلمهم أنهم وما يملكون لله ، وأنهم إذا شكروا الله فإن ثمار هذا الشكر سيعود عليهم لقوله تعالى : (وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ ۖ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ) ولقد أجزل الله تعالى على عباده من نعمه العظيمة ، فهو الذى يقسم الأرزاق ويرزق من يشاء بغير حساب ، يبتلي عباده بالنعم كما يبتليهم بالمصائب قال تعالى : (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) ففتنة السراء أعظم من فتنة الضراء فهي سبيل الإبتلاء والإفتتان وصاحبها يحتاج إلى صبر وشكر يقول صلى الله عليه وسلم : (عجباً لأمر المؤمن وإن أمره له كله خير : إن اصابته سراء فشكر كان خيراً له ، وإن أصابته ضراء فصبر كان خيرا له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن) فكما خص الله الإنسان بنعم عظيمة كما تحدثنا من قبل حيث خلقه بيده ، ونفخ فيه من روحه ، وأسجد له الملائكة ، وسخر له الكون كله قال تعالى : (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِبِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ...) كذلك خص المؤمنين بنعم ميزهم بها عن بقية خلقه على رأس هذه النعم : نعمة الإيمان فى الدنيا...هذه النعمة التى تمنع صاحبها من الوقوع فى الرذيلة فى الدنيا ، وأما فى الآخرة ففى صحبة النبيين قال تعالى : (وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ ۚ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا) ثم رؤية الله حيث يقول الله لأهل الجنة : (أتريدون شيئا أزيدكم ؟) فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظرإلى ربهم قال تعالى : (لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ) ويقول : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) ويقول : (وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ * ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ) فوعد الله لايتخلف أبدا يقول سبحانه : (وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَالْفَوْزُالْعَظِيمُ) ويقول فى الحديث القدسي : (أعددتُ لعبادي الصالحين ما لاعين رأت ولاأذنٌ سمعت ، ولاخطرعلى قلب بشر) فما أحسن حالها وما أكرم أهلها ، فالملائكة تسلم على المؤمنيت لكرامتهم إنهم فى الجنة خالدون نعيمهم غيرمقطوع لايفنى ولايزول قال تعالى : (ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الأَنفُسُ وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ) بناؤها لبنة من فضة ولبنة من ذهب ، التربة مسك وزعفران ، والحصى لؤلؤ وياقوت ، والملاط الذي يمسك هذه اللبنات المسك الصافي الذي لا يخالطه غيره ، قوي الرائحة ، من يدخلها ينعم لايبأس ويخلد لايموت ، لا تبلى ثيابه ، ولا يفنى شبابه ، هذه الجنة نعيمها عظيم كما قال تعالى : (فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) هذه الجنة لا يعرف حقيقتها إلا هو سبحانه وتعالى وقد أطلعنا الله على شيء من ذلك فى كتابه فنحن نؤمن به ولا ندرك كيفيته ، لكن الإيمان بالغيب هو الذي يدفعنا للتضحية من أجل هذه الجنة كما قال تعالى : (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ) لماذا ؟ لأنهم يؤثرون الفاني على الباقي كما قال تعالى : (يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ * دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلاَمٌ وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) هؤلاء آثروا ما عند الله على ما سواه قال تعالى : (مَّن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا * وَمَنْ أَرَادَ الآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا) هذه نعم خص الله بها المؤمنين دون غيرهم ، والله لم يحرم عليهم الطيبات فى الدنيا بل هي لهم فى الدنيا

وإن شاركهم فيها غيرهم ، أما فى الآخرة فخالصة لهم كما قال تعالى : (قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ ۚ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فالشكر والإعتراف بفضله من أعلى مقامات العبودية وله درجات : فدرجاته بحسب يقين الشاكرين : فمن شكر الله على النعم فقط فهذا شكر العوام ، ومن شكر الله على النعم والنقم فهذا شكر الخواص ، ومن اشتغل بالمنعم (الله) عن النعمة فهؤلاء هم السابقون المقربون وغن كانوا متأخرين فى الزمان قال تعالى : (وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ * أُولَٰئِكَ الْمُقَرَّبُونَ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ ثُلَّةٌ مِنَ الْأَوَّلِينَ * وَقَلِيلٌ مِنَ الْآخِرِينَ...) فمن شكر الله بقليل من العمل كافأه الله بالكثير من الجزاء قال تعالى : (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلا يُجْزَى إِلا مِثْلَهَا وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) ويضاعف الله العشرة إلى سبعمائة فيقول (مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِئَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) فـالتضعيف لمن يشاء للذين يتعاملون مع الله بغير حساب وهؤلاء هم المتقون المقربون كما قال تعالى : (إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ * آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ * كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ * وَبِالأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ * وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ) كذلك فإن الله يشكر الكفار على صنيعهم من الخير ويجازيهم عليه فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (نَزَعَ رَجُلٌ لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ غُصْنَ شَوْكٍ عَنِ الطَّرِيقِ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ بِهَا فَأَدْخَلَهُ الْجَنَّةَ) ويقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : (بَيْنَمَا رَجُلٌ يَمْشِي بِطَرِيقٍ اشْتَدَّ عَلَيْهِ الْعَطَشُ فَوَجَدَ بِئْرًا فَنَزَلَ فِيهَا فَشَرِبَ ثُمَّ خَرَجَ ، وَإِذَا كَلْبٌ يَلْهَثُ يَأْكُلُ الثَّرَى مِنَ الْعَطَشِ فَقَالَ : لَقَدْ بَلَغَ هَذَا الْكَلْبُ مِنَ الْعَطَشِ مِثْلَ الَّذِي كَانَ بَلَغَ مِنِّي فَنَزَلَ الْبِئْرَ فَمَلأَ خُفَّهُ مَاءً ثُمَّ أَمْسَكَهُ بِفِيهِ ثُمَّ رَقَى فَسَقَى الْكَلْبَ فَشَكَرَ اللَّهُ لَهُ فَغَفَرَ لَهُ) قَالُوا يَارَسُولَ اللَّهِ إِنَّ لَنَا فِي الْبَهَائِمِ لأَجْرًا؟ قَالَ : (فِي كُلِّ كَبِدٍ رَطْبَةٍ أَجْرٌ) وقد أثنى الله تبارك وتعالى على أنبيائه عليهم السلام بهذه العبادة العظيمة فقال عن نوح عليه السلام : (ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا) وأمر الله تعالى عبده موسى عليه السلام أن يتلقى ما آتاه من النبوة والتكليم بالشكر فقال تعالى : (قَالَ يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاتِي وَبِكَلامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) وقد أثنى الله على خليله إبراهيم عليه السلام بهذه العبادة فقال الله تعالى : (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ...) وبالشكرنجى الله تعالى لوطاً عليه السلام من العذاب قال تعالى (إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلاَّ آلَ لُوطٍ نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ * نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ) وأمر الله داوود عليه السلام بالشكر فقال : (اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) فكان داوود عليه السلام من أعبد الناس لربه ، فكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه ، وينام سدسه ، وكان يصوم يوماً ويفطر يوماً وذلك أفضل الصيام الذى أخبر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولقد دعا سليمان عليه السلام ربه أن يكون من الشاكرين فقال : (رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) وفى آية أخرى يخبرنا الله بما يقول سليمان عليه السلام (...فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي أَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّي غَنِيٌّ كَرِيمٌ) وأمر الله نبينا محمداً صلى الله عليه وسلم بالشكر فقال الله له : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) فماذا فعل صلى الله عليه وسلم وهو الذى غفر له ماتقدم من ذنبه وما تأخر ؟ هل ركن إلىمغفرة الله له ؟ كلا...فكان يقوم من الليل حتى تفطرت قدماه صلى الله عليه وسلم فقيل له في ذلك...فقال : (أفلا أكون عبداً شكوراً) وقد خرج من الدنيا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يشبع من خبز الشعير ، وربط على بطنه الحجر من شدة الجوع .

لقد كان منهج أنبياء الله عليهم الصلاة والسلام عند النعم أن يشكروا الله ، لما عوتب داوود عليه السلام ثم غفر له ماذا فعل ؟ قال تعالى : (فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ) قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(سجدها داوود توبةً ، ونسجدها نحن شكراً)

وقد تنكر بعض الناس لنعم الله فلم يؤدوا زكاة أموالهم ولم يشكروه على نعمه فيخشى عليهم أن يصيبهم ما أصاب الأمم السابقة كقوم سبأ وأصحاب الجنة حيث صب الله عليهم العذاب صباً وهذا موضوع اللقاء القادم إن شاء الله .

فا تقوا الله عباد الله ، واشكروه على ما أعطاكم ، ولا تكونوا من الجاحدين ، فتقربوا إليه من جنس ما أعطاكم...

وعنه صلى الله عليه وسلم قال : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)

تابع (الشكر عبادة الأولين والآخرين) 3

الحمد لله رب العالمين يحب من عباده الشاكرين لآإله غيره ولامعبود سواه ، نحمده سبحانه وتعالى ونشكره ونتوب إليه ونستغفره ونعوذ بالله من شرورأنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له ، ونشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له أخبر أن من يشكره فقد عبده ومن لم يشكره لم يكن من أهل عبادته فقال : (وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ) ونشهد أن محمداً عبد الله ورسوله أمره ربه بالشكر فقال له : (بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) اللهم صلِّ وسلم وبارك عليه وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد فيقول سبحانه :

(وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)

عباد الله : على الإنسان أن يشكر ربه بسخاء ليزيده ربه بسخاء...فالجزاء من جنس العمل قال تعالى : (لَئِنْ شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ) والشكر ليس بالكلام بل بالعمل قال تعالى : (إِعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ)

بالشكر أخى الكريم تتفتح أمامك أبواب الدنيا والآخرة ، وبكفران النعم يكون وبال ذلك عليك قال تعالى :

(وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَرَكَاتٍ مِنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ)

فكيف نشكر الله ؟ نشكره بقلوبنا وألسنتنا وجوارحنا ، فشكر القلب : اليقين بأن النعم كلها من الله لقوله تعالى : (وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ) وشكراللسان : بالإكثار من الحمد يقول صلى الله عليه وسلم : (الحمد لله تملأ الميزان) فالحمد أول الشكر وهو أول آية في كتابه : (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وشكر الجوارح : أن تستخدمها في طاعة الله ولاتطلقها فيما حرم الله...وإذا أردت أن تشكر نعمة الله عليك فى الدنيا فسبيل ذلك أن تنظر إلى من هو دونك في أمور الدنيا ولا تنظر إلى من هو أعلى منك ، أما في أمور الدين فانظر إلى من هو أعلى منك ، انظر إلى العُبَّاد إلى الزُّهاد ، إلى حفظة القرآن الكريم ، إلى العاملين بالعلم...حتى تقتدي بهم وتكون مثلهم .

عباد الله : ففي غمار الأحداث التي تمر بها الأمة اليوم يحتاج المسلمون إلى اللجوء إلى الله أولا ، و إلى إصلاح ما وقعوا فيه من التقصير في حق ربهم والاستعداد لملاقاة عدوهم ، ومن الأمور التي لابد أن يجهزوا أنفسهم من أجلها التضحية لله وتربية النفس على ذلك ، وأن يعلموا أن من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه ، إن الله تعالى حث عباده على العمل الصالح ورتب على ذلك عظيم الأجر وعالي الدرجات ، ورفيع المنزل ، ومرافقة النبيين والصديقين ، إنه نعيم كامل لا يشوبه نقص ولا ضرر ، إنه يحير العقل ويذهله لأن العقل يعجز عن إدراك حقيقة ذلك النعيم نعم أيها الإخوة (من ترك شيئاً لله عوضه الله خيراً منه) الذي يعلم قيمة الجزاء يضحي لأن النفس لا تترك محبوباً إلا لمحبوب هو أعلى منه هذا معروف قال تعالى : (إِنَّ الأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا) ماذا كانوا يفعلون ؟ (يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا) [سورة الإنسان: 5 - 8] عنوان عملهم الإخلاص قال تعالى : (إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَاء وَلا شُكُورًا) [سورة الإنسان : 9] ، والدافع لهذا العمل الخوف من اليوم الآخر قال تعالى : (إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا) [الإنسان : 10]، فجاء الجزاء على العمل من جنسه قال تعالى : (فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا * وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا * مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ لا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلا زَمْهَرِيرًا) [سورة الإنسان : 11 – 13 نعم قال النبي صلى الله عليه وسلم : (إنك لن تدع شيئاً لله عزّ وجلّ إلا أبدلك الله به ما هو خير منه) رواه الإمام أحمد وهو صحيح على شرط مسلم قال أبي بن كعب : ما ترك عبد شيئا لا يتركه إلا لله إلا أتاه الله به بما هو خير منه من حيث لايحتسب ، ولا تهاون عبد فى شيئ أو أخذ شيئا من حيث لا يصلح له إلا أتاه الله بما هو أشد منه من حيث لا يحتسب فمن كلام علي بن أبي طالب رضي الله عنه : لايترك الناس شيئا من دينهم إرادة إستصلاح دنياهم إلا فتح الله عليهم ما هو

أضر عليهم ، وما هو شر عليهم منه" الذي يريد أن يصلح الدنيا بالتنازل عن الدين يفتح الله عيه باب الضرر ، الدين أيها الإخوة مبني على التضحية والبذل والترك لله ، هؤلاء صفوة خلقه من الأنبياء تركوا موادعة أقواهم وقاموا بنصحهم وتحذيرهم فرماهم الناس عن قوس واحدة ، تركوا الراحة والمسالمة واثروا تحمل أذى الأقوام وتعرضوا للتعذيب ولمحاولات القتل ، بل قُتل بعضهم ، وأخرج من البلد بعضهم ، وسجن بعضهم وأوذوا لتكون كلمة الله هي العليا ، ولكن هذا التعذيب وهذا الألم صار لذة لأنه لله ، ولأنه لأجل الجنة التي عرضها السماوات والأرض : وقد قيل : إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب صار الأذى إن كان لله ألذّ من الشهد ، وصار العذاب في الله عذبا " ومن ترك شيئا لله عوضه الله خيرا منه "، يقوم الصديق فيخطب في المشركين يدعو للتوحيد فيقومون يضربونه ضربا شديدا، حتى يقوم عتبة بن ربيعة يضربه بنعلين على وجهه فيصبر الصديق ، وعمُّ عثمان كان يلفه في حصير من أوراق النخل ثم يدخنه من تحته ، ومصعب تحبسه أمه وتجيعه، ابن مسعود يُضرب ضربا شديدا لما جهر بالقرآن، أبو ذر يضرب لما قال أمامهم لا إله إلا الله وكاد أن يموت، وأوذي المستضعفون وآل ياسر وخباب وبلال، ناهيك عن الأذى النفسي بالإضافة للأذى البدني لكن طابت بذلك أنفسهم لله لأنهم أيقنوا بما عند الله وامنوا بالغيب، حرام ابن ملحان لما طعن في المعركة ؛ طعنه كافر قال: فزت ورب الكعبة من شدة إيمانه بالغيب، بل إن أنس بن النضر شمَّ رائحة الجنَّة في المعركة، لقد هجروا الأوطان في سبيل الله وذهب بعضهم إلى الحبشة وذهبوا إلى المدينة تاركين وراءهم بيوتا وأموالا لماذا (قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّى يَأْتِيَ اللّهُ بِأَمْرِهِ وَاللّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ) [التوبة : 24
إذا ترك العبد شيئا لله كافأه الله بأفضل منه والأمثلة كثيرة...ففي حديث قُدُسي : (إنّ النّظرة سهم من سهام إبليس مَسْمُوم من تركها من مَخَافتي أبدلته إيمانا يجد حلاوته في قلبه) فانظروا إلى قصة يوسف عليه السلام مع امرأة العزيز فلقد راودته عن نفسه فاستعصم مع ما اجتمع له من دواعي المعصية ، فلقد اجتمع ليوسف ما لم يجتمع لغيره ، ولو اجتمع بعضه لغيره لربما أجاب الداعي ، أما يوسف عليه السلام فقد اجتمع له من دواعي الزنا ما يلي :
أنه كان شاباً ، وكان عزباً ، وكان مملوكاً...والمملوك ليس له من أمره شيئ وفى المقابل : أن المرأة كانت ذات منصب وجمال فهي زوجة عزيز مصر فهي سيدته ، وفى غياب الرقيب ، وقد غلقت الأبواب وتهيأت له ، ودعته إلى نفسها وتوعدته بالعذاب إن لم يفعل ، ومع هذه الدواعي صبر وتعفف خوفا من ربه...فنال السعادة والعز في الدنيا والآخرة كيف ؟ فلقد أصبح السيد ، وأصبحت امرأة العزيز فيما بعد كالمملوكة عنده ، وقد ورد عنها أنها قالت : سبحان من جعل الملوك بذل المعصية مماليك ، وجعل المماليك بعز الطاعة ملوكاً فعلى العاقل أن يتبصر في الأمور ، وينظر في العواقب ، وألا يؤثر اللذة الحاضرة الفانية على اللذة الآجلة الباقية .
لما ترك الصحابة ديارهم وأموالهم وخرجوا فى سبيل الله عوضهم الله عن ذلك فمكنهم الله من ملك فارس والروم أنت أخى المسلم عندما خرجت من وطنك تبتغى الرزق وسع الله عليك فى المأكل والمسكن والمركب قال تعالى : (وَمَنْ يُهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الأَرْضِ مُرَاغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ يُدْرِكْهُ الْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا) لما بذل الشهداء دماءهم فى سبيل الله شكرالله صنيعهم وعوضهم رزقا سريعا فى الجنة قال تعالى : (ولاَ تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ أَمْوَاتاً بَلْ أَحْيَاء عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ...) ما ترك عبد شيئا لا يتركه إلا لله إلا أتاه الله به بما هو خير منه من حيث لايحتسب ، كما قلنا الأمثلة كثيرة والوقت ضيق سنتواصل فى الأسبوع القادم إن شاء الله
وعنه صلى الله عليه وسلم : (كل ابن آدم خطاء وخير الخطائين التوابون)